وأصعدُ وحدي

. خليل أبو سلمى .

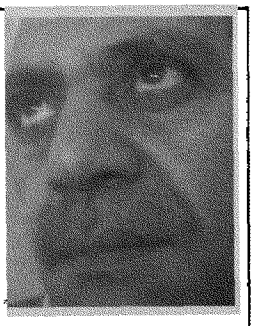

خليل أبو سلمى

شاعر فلسطينيّ لاجئ في سوريا.

صاعدًا
نخيلَ الخيبةِ الظمأى
بأشباحِ السراب،
أبعثرُ الشوقَ الثقيلَ
على رملِ الذهول،
وأضمُّ أسئلتي
خيطَ ضوءٍ يابسٍ في مقلتي.
كان لدينا مزيدٌ من الوقت لقبلةٍ...
أو رعشةٍ...
أو صرخةٍ أُخرى...
أو عناقٍ لائقٍ بما اقترف الفؤادُ الناشبُ
في جسدي من الهوى...
أو طعنةٍ في الظهرِ أبهى
من فِراقٍ ضيّقِ الطلعة
لا يُمهلُ المذبوحَ على حجرٍ
لكي يلقي -
على أعشابِ نجيعِهِ المرتدِّ -
صرخَتَه الأخيرة.
كان لدينا طريقةٌ للذبحِ
أرحمُ:
فالموتُ في دربِ الصعودِ أشهى
من حليبِ الأم،
ومن رغيفِ حلمٍ يابسٍ في الحلقِ
يكاثرهُ الحنين.
...
صاعدًا وحدي
أختالُ في صحراءِ أوردتي...
بطلاً من الشهوات!

أنتحلُ المدى شبقًا
وتكسرُني الرؤى
تذوِّبُني بجليدِ أيامي
قمرًا من البنفسجِ لا يضيء.
...
صاعدًا وحدي
واسعَ الخطواتِ
في ضيقِ الفضاءِ
متّكئًا عصاي..
جيشًا من الرغباتِ
آخرُها حريق.
تعوي من الوجدِ روحي
وتشفي غليلي قطرةُ ماءْ.
صاعدًا وحدي
أدحرجُ المنفى إلى الوطنِ
وأعدُّ الولائمَ لليتامى
ذاهلاً في الصمتِ من بلادٍ
تبيعُ جدائلَها للنارِ
تتضاءلُ في حلمي
من مدنٍ من البللور مشيدةٍ
إلى حجرٍ بقارعةِ السنين
يُشَظِّي خُطايَ.
...
صاعدًا طريقَ جلجلتي
باسمًا من شدّةِ الغضبِ
بلا آبٍ
يصْفع وجهَه عتبي
ولا أمٌّ تشرب حسرتي ثكلى
وتنزعُ الأشواكَ من روحي.
لن أشتهي مدنًا تستنكر النزفَ
على البؤساءِ إذا نزفوا
وتنْكر الشهداءَ بما اقترفوا
في حبِّها ... فمضوا.
لن أشتهي مدنًا.. إذا اغتُصِبتْ
تقول الآهَ في طربِ!
...
صاعدًا وحدي
لم أدَّعِ أني رسولٌ جاء من صحراءَ
طاعنةٍ في الكفرِ لا تنجبُ الدّفلى.
لم أتزوّجِ البحرَ،
ولم أفُضَّ بكارةَ الأشياء.
لم تشتهِ جسدي امرأةٌ ولم
ترتفعْ فوقَ البنفسجِ قامتي.
لم أصرخْ بجوفِ الليل من ألمٍ تاكلني...
ولم أُطعمِ الفقراءَ من لحم أغنيتي.
لم ألعنْ طغاةَ الأرضِ... ولم
أُرفعْ على خشبِ الصليب
ولم أنزفْ وصايا.
...
سأنكرُ
أنني أمشي
إلى لحدي
بلا ظلٍّ
ولا جسد.
سأصعدُ وحدي
صمتي وقهري
صهيليَ قحطي
و بَرْدِيَ بُرْدِي.
سأمشي ضريرًا
بهذا الطريقِ العقيمِ
أطحنُ حزني فتاتًا
وأقتاتُ جلدي
وأنثرُ صوتيَ
أطيارَ شوكٍ.
فيا أرضُ مُدِّيْ
ذراعيْك حتى سماءِ السماء
وشُدِّي بعنفٍ على القلبِ
شُدِّي
على القلبِ شُدِّي.
سأمشي على جمرِ هذا الصعودِ
وإنْ ذابَ جلدي.

سوريا